بشر متعصبون.. أديان وسياسات وثقافات

اللاتسامح الديني والثقافي

لطفيّة الدليمي

القسم الثاني

مدخل

تتكشف لنا رواسب التعصب البشري كلما حفرنا في طبقات التراث الإنساني، فنجد أن مجمل التراث المنحدر من أسلاف الأمم محتشد بالتعصب واللاتسامح – وأن مختلف الديانات والمذاهب والثقافات والأيدلوجيات في عالمنا تنطوي على درجات من اللاتسامح والتعصب ولديها نزعة تشدد تتفاوت في مستوياتها –صعودا وهبوطا خلال الأزمات – لسنا وحدنا الذين ترسخت مفردات التعصب في ذاكرتنا الجمعية وشكلت سلوكنا بل أن حياة الشعوب عامة أثقلتها هذه النزعة الموروثة منذ أقدم العصور ،غير أن الأمم الأوروبية التي انبثق عصر التنوير من بين أيدي مفكريها، أطلقت فكرة التسامح ونادت بالحريات ثم أقدمت على تفكيك ظاهرة التعصب واللاتسامح ودرست منابعها وتوصل مفكروها إلى فهم دوافع التشدد ومبرراته واقترحوا طرائق العلاج وان لم ينجحوا في بلوغ درجة الشفاء الكامل ..

يخبرنا غلين دانيال في كتابه (الحضارات الأولى – الأصول والأساطير) بأن (الآرية) ليست عرقا بل هي مصطلح لغوي أشار فيه غزاة الهند الناطقون بالسنسكريتية إلى أنفسهم بأنهم آريون أي(نبلاء)، وباتساع استخدام المصطلح صار يدل على الشعب الذي كان يتكلم تلك اللغة، غير أن الدعاية النازية استولت على المصطلح ولوت عنقه لصالح عنصريتها وسببت إرباكا في تبنيها لتمجيد العنصر الآري موحية بان الآريين عرق متفوق، وهم شقر وزرق العيون كسكان اسكندينافيا، غير أن الحقيقة غير هذا فالآريون ليسوا مجموعة عرقية – فعندما سيطر غزاة الهند على الشعب الهندي وصفوا (السكان الأصليين بأنهم (داسوس) وسود البشرة ولا يتكلمون الآرية وعاملوهم بمزيج من الاحتقار والتخوف والعنف الدموي – ففي الحروب والغزوات تتعرض الجماعة المغلوبة إما للإبادة أو العبودية أو التعذيب متعدد الأشكال.

وبعد ما جرى للمسيحيين الأوائل من عذابات وقمع على أيدي اليهود والرومان نجد القس المبشرين في العصور الوسطى، قد رافقوا جحافل الجيوش التي احتلت بلدانا تسكنها شعوب بدائية لأهداف اقتصادية بحتة، وكانت القسوة والدموية الطابع المميز لتلك الحملات كما أشعلت الكنيسة في العصور المظلمة حرب المحارق الكبرى للمفكرين والمفكرات متهمة إياهم بالهرطقة والسحر ولا ننس ما جرى قبل ذلك من تمزيق جسد الفيلسوفة هيباتيا في الإسكندرية من قبل المتشددين المسيحيين ثم بلغ التشدد الديني ذروته بالحملات الصليبية، فلم يكن التشدد حكرا على دين أو عقيدة بل هو سمة تميز مسعى أي معتقد أو فكرة في التوسع على حساب العقائد السابقة ، وما حدث لابن رشد من حرق مؤلفاته وحرق مكتبة الحكم الثاني العملاقة في الأندلس من قبل المنصور بالله، كما قام خلفاء مسلمون بحرق الكتب ورميها بالماء أو تمزيقها لأنها تمثل فكر عدو مختلف..

نجد في كتاب (أعداء الحوار) أن الفصول المعنية باللاتسامح لدى الأديان الرئيسية قد احتلت نحو ثلثي الكتاب ويعزي ياكوبوتشي الأمر الى (أن الدوافع الدينية مازالت مستمرة في سيطرتها على السلوكيات العنيفة التي تتسم بالتفرقة اللاإنسانية ضد الإنسان) .

فبدءاً من الأديان الوثنية في أثينا وبابل وآشور ومصر وبلاد فارس والصين والهند وروما، وصولا إلى الأديان السماوية، نجد أن مظاهر التشدد لدى المتدينين السطحيين اشد منها لدى المؤمنين الحقيقيين، بمعنى أن الفهم الظاهري والنفعي للدين هو الذي يغذي التشدد فكان أن وظفته السياسة لأغراضها ودفعت بالمتشددين و بذرائع الحفاظ على الدين – لقتل الآخر المختلف باسم الأوامر الإلهية ، ويطرح ياكوبوتشي السؤال الخطير الآتي : كيف نقتل المختلف باسم الله؟ ومن هذا السؤال تتوالد أسئلة أخرى عن أسباب التدين ومخاوف الإنسانية التي يهدئها الإيمان بالذات العليا..

لقد بدأ تسييس الدين منذ العصور الحضارية الأولى واستمر حتى يومنا هذا، وتضامن رجال الكهنوت مع السلطة لحماية مصالحهما معا، وأدى الأمر إلى ربط الملكية والسلطة بالحق الإلهي والدفاع عن أحقية الحاكم بالسلطة عن طريق المتدينين المسيسين الذين يغالون في التدين الظاهري ويسلكون سبيل التعصب من اجل غايات مختلفة، مما يعني أن معظم الصراعات المنسوبة للدين لم تكن دينية، بقدر ما كانت صراعات ذات طبيعة سياسية واجتماعية واقتصادية أوقعت الأديان في مأزق كبير وأساءت إليها بسبب سيطرة الجانب السياسي عليها ..

٢

يفتتح ياكوبوتشي الفصل ١٥ من كتاب (أعداء الحوار) موضوعة اللاتسامح الثقافي – وبعنوان فرعي (اليقين المستمد من الآباء) يفتتحه بالسؤال الآتي: هل يمكن قتل شخص لأنه مختلف؟؟ يجيب ياكوبوتشي : إن من يؤمن بقوة مستعد للتضحية بحياته المليئة بالمعاناة من اجل سعادة أبدية – ولكن ما هو المنطق الذي يمكن أن يدفع إلى هذا النوع من الحرب المقدسة والتضحية بالنفس؟؟ يطرح الكاتب جوابا يتعلق بالثقافة أكثر مما يتعلق بالدين، بما معناه أن منظومة المعتقدات والعادات التي نسميها (ثقافة) تعني لنا أشياء كثيرة، ولكي نحافظ عليها فنحن مستعدون لدفع ثمن باهظ – الأمر يتعلق بسعادتنا على الأرض – إذن ما هو هذا الشيء الذي يعطي لكلمة (ثقافة) نفس القوة التي يتمتع بها التعصب الديني لدرجة أنها تجعلنا نهزم غريزة الحياة أو تجعلنا نتحول إلى قتلة؟؟

يقع التفسير بين رأيين مختلفين؛ أحدهما رأي جان جاك روسو حول تحول الإنسان الطيب إلى مفترس بسبب تأثير المجتمع المدمر، ورأي هوبز الذي يقول إن الإنسان ينطوي على (السفاح – الذئب) في كيانه الأعمق ، ورغم التحولات التي مرت بالإنسان طوال عملية التحضر ، لم يفقد رد فعله المشترك مع الحيوانات وهو التوجس والعداء إزاء المختلف الذي يراه خطرا يهدد وجوده، فهو يعتمد تكتيك : هاجم الغريب الخطر أو اهرب منه ورغم أن الإنسان المتحضر قد اختصر مخاوفه من البيئة باستخدام العقل ، إلا انه عمد إلى اختراع أعداء خطرين من رموز مجردة ..

ومن خلال رفض الآخر يستطيع الإنسان إثبات مركزيته في العالم وتأكيد هويته، فكلما أقدمنا على تأكيد ذواتنا وهويتنا يبرز لدينا –شئنا أم أبينا – قدر من العدوانية الكامنة من اجل الاعتراف بالذات ..

ينبئنا مكيافيللي بأن الطموح إلى المجد والسلطة يمكن أن يقود إلى الاستبداد وإقصاء الآخرين – بينما يقرر هوبز أن السلوك العدواني يعود إلى الغرور والتكبر والاستبداد، ويؤكد روسو – على الضد مما حاول عصر العلوم الإنسانية إثباته – أن الثقافة والعلم قلبا الطبيعة النبيلة والنقية للوحش الطيب الذي نسميه الإنسان.

وتبرز في ثنايا البحث عن اللاتسامح وأصول التشدد موضوعة الخوف من كل ما هو أجنبي، وهو خوف من فقدان الهوية – وينشأ عن ذلك الخوف شعور بأن أي تنازل أو أي قدر من التسامح نحو معتقدات الغريب وتصرفاته ينطوي على مخاطرة بتدمير قناعتنا وعاداتنا – أي عناصر ثقافتنا ، لذلك على الخائف أن يعامل الآخرين بأقصى درجات التشدد لأنهم يمثلون تهديدا لمجرد وجودهم معنا واختلافهم عنا، وكخلاصة لهذه المواقف التي تعد من صلب اللاتسامح الثقافي، يتوصل ياكوبوتشي إلى (أن الكراهية والرغبة في القضاء على المختلف يظهران عندما ينجح الآخر في إثبات ضعف وضحالة يقيننا المزعوم.

(يتبع)

تلويحة المدى

■ شاكر لعيبي

الصحراء بوصفها فناً جميلاً

٣

سنلخص بكلمتين ما قلناه في الأسبوعين الماضيين: لا يوجد منظور هندسي في صورة الصحراء، لا توجد نقطة انطلاق ولا نقطة تلاش. وإذا وُجدت شجرة هنا وهناك، فلن يغيّر الأمر شيئا. أما إذا حضرت هيئة بشرية فإن حضورها يُراد له أن يكون وحدة قياسيةً من الوجهة الهندسية، وعنصرا معزِّزاً للحميمية من الناحية العاطفية، لكي يُمنح لوجود الإنسان معنى ميتافيزيقياً كما قد يُقال. لا ينفي السُلّم القياسي للجسد البشري الحاضر في مطلق الصحراء اختفاء المنظور في الصورة التي تؤطره. لا تستطيع صورة الصحراء احتواء المطلق، تستطيع فحسب الإيحاء به. ففي هذه الصورة توجد خطوط أفقية من التلال الرملية التي لا تتوجه نحو نقطة معينة، إنما نحو مراكز متعددة. إنها تكسر نظام الهندسة لصالح نظامها.

إذا حيَّدْنا "لا شعورية الإدراك البصري" الضاربة عميقاً فينا، فإن التأثير البصري المجرّد هو الحاضر أولاً وأخيراً في صورة الصحراء، وهو ما سنلتقي به حتى في صور الصحراوات الكبرى ذات التعرجات والتلال والمنحدرات. صورها لا تعدو أن تكون وهماً بصرياً للمنظور الخطي، ذلك أن القريب في اللقطة الذي نراه كبيراً والبعيد في اللقطة الذي نحسبه ذا حجم مماثل، يشوشان إحساسنا بالمنطق الهندسي للمنظور، بل يسخران من فكرة المنظور. هذه الفكرة يمكن تطبيقها بحذافيرها على صور البحر، حتى يمكن القول أن صورة للصحراء تتشابه، حرفياً تقريباً، مع صورة للبحر. الفارق الظاهري لا قيمة له: ثمة حركة متواترة ملموسة لأمواج البحر مقارنة بالحركة البطيئة غير الملموسة لأمواج الصحراء. الحركة واقعة في الحالتين لكن في إطار برهات زمنية مختلفة لا غير، والمنظور مختف في الفضاءين كليهما.

في جميع المصادر التعليمية التي تعالج نظريا وتطبيقياً المنظور الهندسي، هناك على الدوام توضيحات شتى وتطبيقات عملية على مشاهد ومناظر متنوعة تستثني، حسب معرفتي، تطبيقه على الصحراء.

لقد بدت الصحراء في عيون البشر من مختلف العصور تعبيراً عن مطلق فذ وفريد، ولقد أنجبت الأنبياء والشعراء الذين تلقوا، على ما يبدو، دروساً أساسية عن الوجود فيها. النبوّة والشعرية شأنان لا علاقة للمنظور بهما.

في الشعر العربي الجاهلي، لدينا الوفير من الأمثلة الساطعة لفكرة تحوّل الصحراء إلى جسد ذي بعدين اثنين فحسب. إنها لا تمتلك، في معاني ذلك الشعر، عمقاً هندسياً. بُعْدان هما بالطبع الطول والعرض، وليس العمق. كان الشاعر الجاهلي متماهياً مع الصحراء بصفتها تعبيراً عن مطلق لا أبعاد له، وتعبيراً عن العالم الكبير الذي ليس العالم الصغير سوى ذرات في حضنه، ثم تعبيراً عن الاختراق والتجاوز لعالم البشر الفانين وقوانينهم الهندسية.

يرسم الشاعر الجاهلي، ببعدين اثنين، رسوم الأطلال الصحراوية (أي بقايا آثار البيوت التي سكنت بها الحبيبة) على بِشرة جِلده، لكي يقول لنا طرفة بن العبد:

لخولةَ أطلالٌ بـ"برقة ثهمد"
تلوّح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ

بينما يقول لنا شاعر آخر:

ودارٌ لها بـ"الرقمتين" كأنها
مراجيعُ وشم في نواشر معصم

ليس من عمَق منظوري بالطَبع في بقايا الوشم على ظاهر اليد، بالضبط مثلما ليس هناك من عمقٍ في صورة الصحراء.

وفاة الموسيقي الهولندي غوستاف ليونهارت

ثائر صالح

توفي عازف الاورغن والعالم الموسيقي الهولندي المعروف غوستاف ليونهارت يوم ١٦ كانون الثاني الجاري في هولندا. كان ليونهارت عازفاً مجيداً على الأورغن والهاربسيكورد ومترجماً مهماً لأعمال موسيقى عصور النهضة والباروك حتى الفترات الكلاسيكية، وباحثاً موسيقياً ومدرساً للموسيقى. طمح إلى أداء الأعمال القديمة باستعمال التقنيات والأدوات القديمة وتجنب الترجمة الرومانتيكية لأعمال باخ وموسيقى عصر الباروك عموماً.

اشتهر بأدائه الخاص لأعمال باخ وتعاون مع الموسيقي النمساوي نيكولاوس هارنونكورت على تسجيل كل كانتاتات باخ (أكثر من ٢٠٠ عمل)، وقد ابتدأ البرنامج سنة ١٩٧١، بتقسيم العمل بين الاثنين وقيادة فرقتيهما، فرقة ليونهارت كونسورت وفرقة كونسنتوس موزيكوس فيينا التي قادها هارنونكورت. أنجز هذا المشروع الكبير خلال عشرين عاما.

تتلمذ على يديه أشهر عازفي الهاربسيكورد المعاصرين، مثل الهولنديين فان اسبرن وتون كوبمان، الانكليزيين كريستوفر هوغوود وريتشارد أيغار، البلجيكي فيليب هرّفيغه، والكثير غيرهم ممن أخذوا على عاتقهم تقديم الموسيقى القديمة على الأدوات الأصلية.

آخر حفلة قدمها كانت في باريس يوم ١٢ كانون الأول ٢٠١١.

يذكر ان ليونهارت يعزف أعمال الموسيقي الانكليزي وليام بيرد ١٥٤٣-١٦٢٣.

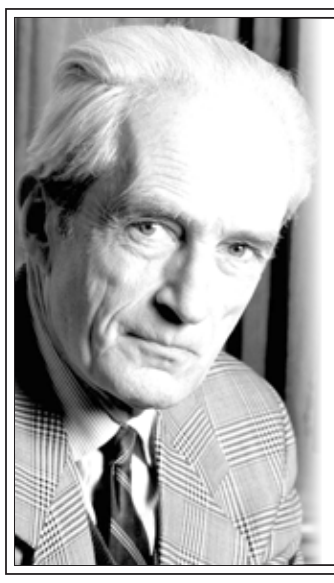

ظهيرةُ جمعة في بُرج السعدون

شعر: جليل حيدر

إلى علي محمود

هكذا هي بغداد: جملةٌ عصبيةٌ، وعبورٌ غيبيّ من بداية حزّ الرؤوسِ إلى الصلوات.

هكذا هي بغداد: شارعٌ يُطوى على كتبٍ وانفجار محابرَ، وشارعٌ تغلقهُ ملائكةٌ خضرٌ سود، خشيةَ جحيمٍ محلّي، ولحى خلف الحدود.

هكذا هي بغداد: سجالٌ بين هاويةٍ ومنائرَ ، بين مرضى وأساطير. كأننا في الشبهةِ مُذ بدأ الغزو يتغلغلُ في المآتمِ وصفارات الإنذار.

هذه بغدادُ: عودةٌ إلى الظلام، وتبشيرٌ بصباحٍ مقيد اليدين.

كيف أتأكدُ من صداقاتي، أتأكدُ من الماضي، بين مقهى إبراهيمَ وسرجونَ ، حين أودعنا تمرّدات الشبيبةِ في اليسار البهيّ؟

كيف أتأكّدُ من أبي نؤاس بنزيفهِ الترابيّ، وشركاتهِ التركيّة، ونباحِ المولدات؟

أملٌ يهمسُ لي:

كُن شهماً كصديقٍ

رحيماً مثل حدقةِ المُحّب

نبيلاً كمقاتلٍ،

وخصماً لكّل تلك الديناصورات تبتلعُ العاصمة.

هكذا هيَ بغدادُ:

عمياءُ مثل مومس السيّاب

غريبةٌ كمطلقة، وفريسةٌ للسلمندر.

الحدادُ يليقُ بكافافي وبرابرتهِ ، وعلى الجسور تنادي الأبجدياتُ خالقها العظيم

أما الأحبةُ، فلهم نارنجُ الوحدة، وغضبُ الخريف.

وعند مكتبةِ النهضة محطتنا

منتظرينَ ثمالةَ الظهيرة وشقاءها

حيثُ أرواحٌ ، سجناءُ ، ومثقفونَ، يقتفون آثارهم وراء القلاع، ونوبات الأيامِ القلقة، سائلينَ أنفسهم: إلى أين؟

بعد حطامِ السفنِ وتحطيم المعنى.

بعدَ إشارة : إنّنا في العميق

وعلى السطح تطفو الأشناتُ.

هكذا يا عليّ

من أربعينّية الرمادِ

إلى صفيرٍ خاص

دائماً..

لكن هناك.

بغداد ١٨-١-٢٠١٢

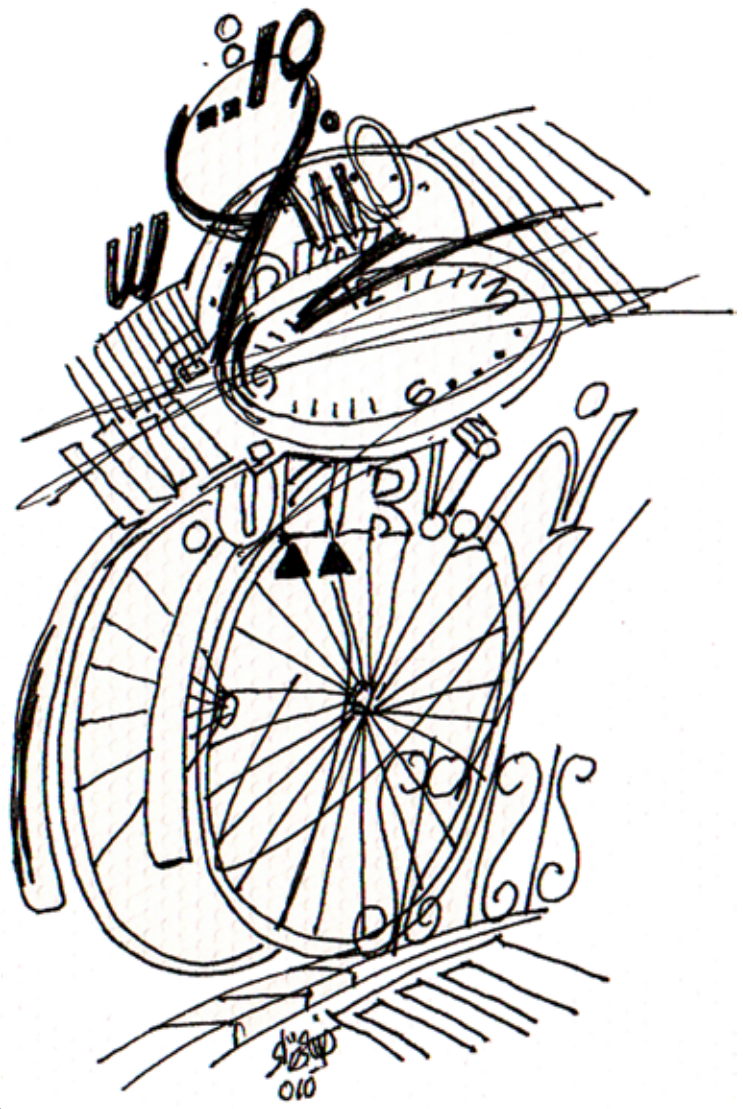

توقيع كتاب "السيّاب وهويّة الشعر"

نظمت مكتبة الحنش، بالتعاون مع بيت الشعر العراقي، حفل توقيع كتاب (بدر شاكر السياب.. هوية الشعر العراقي)، تأليف ناصر الحجاج، في قيصرية المكتبة في شارع المتنبي.

بغداد / المدى

قدّم الجلسة الشاعر أحمد عبد الحسين حيث تحدث عن ناصر الحجاج شاعراً، وصحافياً، وهذه المرة ناقداً عبر كتابه هذا الذي قال عنه إنه "يمثل باكورة أعماله النقدية"، وأضاف عبد الحسين: "أن الحجاج في كتابه هذا يسلط الضوء على قضايا مهمة تتمحور حول اللغة ببعديها المحكي والشفاهي، والفارق بين ماهو لغة فصحى، ومحلية"، مشيرا إلى أن "الكتاب يذكر أن السياب كان يعد اللغة الفصحى هي اللغة الثانية بعد المحلية ويثبت ذلك بأدلة ووثائق وتعليقات حفل بها الكتاب لتعزيز هذا الرأي الذي يمكن عده جديداً في هذا المورد".

بعدها تحدث الشاعر ميثم الحربي قائلاً: "إن الحجاج يجتهد في هذا الكتاب لتوليد منهج نقدي، في وقت تمر به النقدية العربية في أزمة معنى كبيرة، كما أن المنهج النقدي الذي يعمل عليه الحجاج، هو : اجتراح حاثّات وتأسيسات منهجية نابعة من العناصر المشكلة للهوية العراقية. إنه العمل الدؤوب؛ من اجل يقظة ذات جمعية تمتلك الثقة بنفسها. في المقابل فإن أهم ما أشرهُ المثقف العربي في توصيفه لعملية تكسير الصحون الكبرى المتمثلة بحدث الربيع العربي، أن الشعوب العربية استردت الثقة بنفسها، ولن تفرط بها مرة أخرى.

ناصر الحجاج يرصد كل ذلك ويحاول التغور في طبقات المجتمع العراقي؛ للإتيان بتشكل نهائية أو أولية للهوية العراقية، عبر مغامرة إنتاج منهج نقدي لتفسير الشعر كوجود جمالي بعيدا عن أي أصولية نقدية ليكت على الألسن حتّى تهرّأت ووصلت إلى الطرق المسدودة".

بعدها تحدث الحجاج عن أفكار الكتاب الرئيسة المتمثلة بمحاولة تأسيس منهج نقدي يعيد إنتاج الهوية العراقية أو يبحث عن ملامحها عبر الشعر العراقي وقد بدأ هو هذه المحاولة بشعر السياب، موضحاً أن "موضوع التأسيس لوضع معالجة للنصوص الشعرية وارتيادها مهمة صعبة بلا شك، وفي الوقت نفسه لابد من توسيع دائرة ارتياد النص الشعري لتقصي صناعة هوية محلية تحكي عن إرث عراقي خالص وتشرح مدياته وأبعادهُ داخلَ المجتمع عبر حركة التاريخ، كما لفت إلى أن لكل مجتمع خصوصيته المعرفية بما تحمل من أساطير ورؤى وتصوّرات، مبينا أن منهج الكتاب كفكرة ومنهج مفتوحة وقابلة للإنضاج والتطوير والنقد، كما يمكن استثمارها للنظر إلى شعر شعراء آخرين من زاوية تقصي هوية عراقية نابعة هذه المرة من الشعر.. عبر تفسير اللفظ العامي والفصيح كدالات تحتدم في نص عماده الأول هو الفصحى".